الدين والتصوف من منظور أنثروبولوجي.

هل يعود مستقبل الدين الى الماضي السحيق.

أ.د. أحمد محمد زغب.

جامعة وادي سوف- الجزائر.

من المسلم به أن الدين نزل على خيرة البشر بوحي من الله عز وجل. لكن هذا التفسير للظاهرة الدينية لا يسلم به الأنثروبولوجي وعالم الاجتماع لأنه يفسرها من الداخل أولا، ليعرف السبب الأولي، ويمكن أن نفسر به كل ما في الدنيا من ظواهر دون أن نتعب أنفسنا، وكل شيء في الوجود أوجده الله عز وجل.

وهذا التفسير لا يجعلنا نتقدم في البحث قيد أنملة لفهم الظاهر فهما عقليا؛ لذلك نفضل أن نفسر الظاهرة الدينية من خارجها اعتمادا على ما بين أيدينا من وقائع وآثار محاولين تفسير الأسباب التي دعت الإنسان إلى التدين.

تعددت نظريات العلماء في نشأة الدين والتدين ، لكن الجامع بين تلك النظرية أن الدين لم ينشأ على الحالة التي هو عليها اليوم، إنما تطورا عبر العصور في أشكاله ومضامينه.

كما أن الحدس هو الجامع في الدافع الأول الذي دفع الإنسان إلى التدين، إنه الإحساس أو الغريزة العارفة أو الخبرة الدينية.

يمكن تصنيف نظريات منشأ الدين إلى صنفين : الصنف الذي يؤكد على الأصل العقلاني لنشأة الدين، والصنف الثاني يؤكد على الأصل العاطفي. وهكذا كان لدينا عدة نظريات؛ الأرواحيةanimism علي سبنسر ثم تايلور،والطبيعانيةnaturism علي يد ماكس موللر، والفيتيشية الصنمية fetishism أو عبادة الأوثان ،والمانوية أو عبادة الأسلاف والتي تكون قد استمدت فكرتها الأولى من الأرواحية، والطوطميةtotémism :عبادة الحيوانات والنباتات التي أرساها جون ماكلينان.(كلود ريفيير: أنثروبولوجيا الأديان ص 51 ومايليها).

أما النظرة العاطفية؛ الخوف من الموت والطمع في الخلود لا يكمنان في أساس الدين ولايبعثان على نشوئه، فقد جاءت تالية للدين وليست دافعا لنشوئه، وهي قاصرة على تبرير وجود بعض الأديان التي لا تقد لأتباعها هذا العزاء، فمعتقدات خلود الروح الفردية وخلود الشخصية كما يرى السواح بنيت على المعتقد الديني ولم تشكل في أي وقت باعثا من بواعثه (فراس السواح: دين الإنسان ص325).

أما إذا عدنا إلى النظريات العقلية، فمن السهل أن نقول قبل أن يفكر العقل ويستنتج لابد أن تكون حوافز تدعوه إلى التفكير، ففي النظرية الطبيعانية كمثال يرى كثير من الباحثين أن المواجهة مع مظاهر الطبيعة لا تقدم إلا الإحساس الديني في صيغته العامة أما الدين في شكله المعروف فلا يبدأ إلا بعد ذلك الإحساس حين يتحول إلى فكر ثم يتحول الفكر إلى معتقد والمعتقد ينتج أساطير وطقوس.

أما النظرية الأرواحية، أقوى معبر عن الاتجاه العقلاني، فهي تفسر نشأة فكرة الآلهة وليس الدين نفسه،والدين ظهر لدى الإنسان قبل فكرة الآلهة، وهو الدين في مرحلته السحرية، وهي نظرية جيمس فريزر،والتي ترى أن الإنسان مرّ بفترة كان السحر هو الذي يلجأ إليه بطقوسه السحرية لإنبات الزرع وإنزال المطر وإخصاب الحيوان...الخ، ثم استيقظ من سباته وتبدد هذا الحلم اللذيذ وأدرك أن سقوط المطر ونبات الزرع وغيرذلك ليس بسبب طقوسه إنما بسبب تعاظم قوة كائنات آلهة وإلهات تولد وتتزوج وهكذا فإن النظرية السحرية احتلت مكانها أو أضيفت إليها النظرية الدينية (جيمس فريزر: الغصن الذهبي: تر جبرا إبراهيم جبرا.ص15.16).

صحيح أن كل النظريات السابقة تعرضت إلى انتقادات تقوضها من أساسها، لكن إحساس الإنسان بالحاجة إلى القوة الماورائية هو الذي أنشأ المبادئ الأولية البسيطة لفكرة الدين. فالتعامل مع سلوك الإنسان البدائي الذي يحمل عقلية سابقة على المنطق ولو انها غير مناقضة لقوانينه (يوسف شلحت: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني ص 154)، ومن ثم فإخضاع سلوك الإنسان البدائي لعقلية منطقية ناضجة من أجل تفسيره يبدو لنا أمرا مجحفا.

وعلى هذا نعتقد أن هذا الإحساس الذي يقود إلى نوع من أنواع المعرفة يشبه إلى حد بعيد ما يعرفه العلماء تحت مصطلح الحدس intuition وهو كما عرفه الشريف الجرجاني سرعة انتقال الذهن من المبادئ إلى المطالب، ويقابله الفكر وهو أدنى مراتب الكشف (التعريفات ص 79). قريب من هذا ذهب ديكارت R. Décartes إلى أنه الاطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية.(P.hebertSuffrin; Quelques notes philosophiques sur l'intuition).

وعلى البحث عن وظيفة الدين أجدى من البحث في أصل نشأته، لأن النظريات السابقة كلها كما يرى السواح إرجاع الظاهرة الدينية إلى ظاهرة أخرى لأن في هذا الإرجاع إقرار بأنها وهم إنساني(فراس السواح: المرجع السابق ص:327).

إن إحساس الإنسان بضرورة إعطاء أهمية وقيمة لوجوده، ويبرر اعماله في هذه الحياة ويقدم لنفسه مبررا مقبولا لمصيره، جعله يتمسك بالمقدس، فمرسيا إلياد يرى أن الإنسان التقليدي والمتدين عامة يحاول أن يربط حياته بالعالم القدسي حتى يكون لها معنى وأهمية(المقدس والمدنس: ص16). كما ان الدين يمكن تمييزه بالطقوس وهي أمر حاسم في كل دين ولها أهمية بالغة في حياة المتدينين فهي تربط الإنسان بعالم المطلق وتخفف من حدة التوتر الذي ينتابه بسبب الإحساس القوي بالقوى الميتافيزقية المسيطرة على الكون والتي يحتاج إليها حتى يسترضيها لتبعد عنه غوائل الطبيعة ووتقرب منه نفعها.

ونرى ان هذا اهم شيء في الدين وهو التواصل مع المقدس وعالم المطلق، الأمر الذي يتيح له السمو الوجداني عن نسبية العالم المادي وكان هذا تقريبا أصل الدين عند الإنسان البدائي مهما تنوعت أشكاله.

لكن الإنسان بأنانيته الطبيعية حرف الدين عن غرضه الحقيقي وحوله إلى أغراض دنيوية وإيديولوجيات انتفاعية ، فأخذ في استغلال الفكر الديني ليجنى منه نفعا دنيويا لا علاقة له بالدين.

وهكذا رأينا الشامان والكاهن وسدنة المعابد الذين يبزون المؤمنين ويحصلون على مكاسب دنيوية، ثم جاءت بعد ذلك الديانات الموحدة ، وقد كانت معايشة روحانية للمقدس ؛يدل على ذلك تعاليم السيد المسيح،ولم تعد الديانة ممارسة روحية خالصة إنما أصبحت أمبراطوريات، يطغى فيها الدنيوي على الديني.

وأصبح أصحاب الأديان يحوّلون الناس إلى أديانهم ، لأغراض انتفاعية، أمبراطورية روما وغزواتها، وكذلك الأمبراطورية الإسلامية في العصرين الأموي و العباسي ، ولنتذكر مقولة الخليفة هارون الرشيد للصحابة: ((أمطري حيثما شئت أن تمطري فإن خراجك عائد إليّ)).

وعلى الرغم من أن الأديان تحرم سفك الدماء، إلا أن واقع هذه الأديان التاريخي يثبت أن دماء غزيرة سالت باسم الدين أو بمبررات دينية، فإذا كان الإكراه غير مقبول فإن المسيحية التي يقال عنها ديانة متسامحة غير أنها تُكره الناس، فإما أن يخضعوا أو يذبحوا، وجاء في إنجيل لوقا: ((أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم، فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم أمامي)) إصحاح 27/19. والحروب الصليبية مليئة بالقتل وسفك الدماء والتاريخ يحدثنا عن مجازر رهيبة اقترفت باسم السيد المسيح.

أما في اليهودية فإن القتل ولاسيما قتل الأغيار فهو من صميم عقيدتهم ، كما أنهم لا يتركون طفلا ولا شيخا ولا امرأة ولا حيوانا فقد جاء في سفر حزقيال ما نصه: ((اعبروا في المدينة وراءهم واضربوا ولا تشفقوا، أعينكم ولا تعفوا الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك ولا تقربوا إنسانا عليه السمة وابتدئوا من مقدسي وابتدئوا بالشيوخ أمام البيت)) حزقيال إصحاح9/7-5. أكثر من ذلك فإن سفك الدماء واجب وتركه يستوجب اللعنة جاء في سفر إرمياء: ((ملعون من يمنع سيفه عن الدم)) إصحاح 48/10.

أما في الإسلام فعلى الرغم من أن النصوص صريحة في الحث على القتال وليس على القتل،(قاتلوا الذين لا يومنون بالله واليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله)(التوبة آية 29) والآية صريحة : ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغيّ))(سورة البقرة 256) .

لكن الإسلام امتُطِي لتحقيق امبراطورية سياسية تتحكم في بقاع كثيرة من الأرض، ومن ثم فإن السياسيين غالبا ما يبحثون عن مشروعية لأعمالهم العنيفة والاستبدادية ولا يتورعون على استعمال الدين نفسه.

فالعنف من لوازم السلطة، لكن المشكلة أنه إذا استعملت السياسة الدين وركبته مطية لتحقيق أغراضها للاستحواذ على السلطة، يعيب الناس الدين لأنه استعمل وشوه كما أفسدت السياسة بالدين فقد ابتعدت عن النزاهة التي ينبغي أن تتصف بها، لو كانت مخلصة في الاقتداء بتعليمات الدين.

فحين ندقق في صفحات معارك الماضي، سنجد قصصاً عن رؤوس قطعت، وأخرى أرسلت من مكان إلى آخر، وعن رجال قطعت أجسادهم، وعلقت أشلاؤها في مركز المدينة، وعلى مداخلها وجسورها، وسنقرأ أيضاً عن رفات أموات تنبش لتصلب ويمثل بها، وغيرها الكثير من الفظائع التي كانت واقعاً. إلا أن ذلك لا يختلف عن وصف الحروب التي تمت على طول التاريخ، وفي كل بقاع الأرض، إذ كانت جزءاً لا يتجزأ من توسع الإمبراطوريات وازدهارها .

والأدهى من ذلك أن الفظائع التي ذكرنا حدثت بين المسلمين أنفسهم، وفي زمن التأسيس، ولأقرب المقربين من نبي الإسلام (ص) الذي كان ينبغي أن يحترم في أقرب أقربائه ، فقد قتل الحسين وحمل رأسه مع رؤوس مجموعة من أنصاره من العراق إلى الشام، وقتل عبد الله بن الزبير، وعلقت جثته أياما.

وكي لا نطيل في التجاوزات المقترفة باسم الدين ولأغراض دنيوية محضة، نذكر ما رواه البخاري من قتل خالد بن الوليد لعدد من الرجال في بني جزيمة رغم إعلان إسلامهم، إذ تبرأ الرسول إلى الله من فعلته فقال: (يا رب إني أبرأ إليك مما فعل خالد)(البخاري: 4339) كما روى الطبري وغيره فضائع خالد بن الوليد، في قتل الصحابي مالك بن نويرة طمعا في زوجته الجميلة، وأهل الأخبار يقولون إنه دخل عليها في تلك الليلة ولم يستبرئها.(ينظر:عباس محمود العقاد: عبقرية خالد .ص99 وما يليها).

هذا في عصر التأسيس ، أما إذا انتقلنا إلى عصر الفتوحات أو الغزوات والحروب التي خاضها المسلمون من أجل نشر الدين فحدث ولا حرج، والسبب في العنف هو سلطة الدولة أو استعمال الدين من أجل السلطة، وإفساد الدين بالسياسة.

كما تراجع الدين لصالح العلم لأن الدين كان محاولة لفهم العالم لرد الظواهر إلى الأسباب الغيبية حين كانت تعوز الإنسان الأسباب المباشرة، فقد استطاع الإنسان بفضل العلم فهم ظواهر الكون أحسن بكثير من التفسيرات التي كانت الأديان تقدمها والتي يمكن جمعها في سبب واحد هو السبب الأول، بل وكما استطاع الإنسان استغلال قوانين الطبيعة التي اكتشفها بالعلم لتحسين أحواله المعيشية.

ولعل الإنسان سيستفيق بعد التعب كما صرح الدكتور المختص في علم الأديان خزعل الماجدي لقناة فرنسا24، أن المحاربين سيتعبون بعد قرون من الحروب الدنيوية التي تتخذ الأديان ذريعة لها، وتكتشف أن الحروب الدينية كانت بسبب تضارب المعتقدات والإيديولوجيات.

صحيح ان المعتقد جزء أساسي من الدين، بالإضافة إلى الطقوس والأسطورة، وبين هذه المكونات علاقات وترابطات بنوية إذ لا يستغني أيا منها عن الآخرين. لكن الاتصال بالله يكون في أجلى صوره حينما يكون اتصالا روحيا، أي عودة الإنسان إلى الحدس من أجل ممارسة التعبد الروحاني.

إن مسيرة الأديان متشابهة إلى حد كبير ؛ إذ تبدأ بالحدس وتنتهي بالحدس مرورا بالمعتقدات التي تتحول إلى منظومات فكرية متضاربة، ثم الأنظمة الاجتماعية والسياسية التي تعتمد على تشريعات صارمة، منسوبة إلى القوى العليا: الله، أو الآلهة.

فقد مرت المسيحية بصراع عنيف بسبب العقائد المختلفة، كنيسة أوراشليم أو كنيسة الختان، وهي في الأصل قائمة على عقائد يهودية سابقة على المسيحية، وبين كنيسة الأمم، وعلى الرغم من هذا الانقسام المبدئي فقد تبعته انقسامات أخرى على مستوى كل كنيسة، وكل كنيسة تدعي لنفسها الحق في امتلاك الإيمان الحق وحمايته وما عداها هرطقات ينبغي محاربتها (ينظر: فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح ،ص60)

وبسبب ذلك ظهرت الحركة الغنوصية التي لا تمتلك نمطا عقائديا إنما تركز على التواصل الروحاني المباشر مع الرب ، وينشدون الحقيقة العارية ويميزون بين علم الظاهر وعلم الباطن، وهي كما نرى حركة شبيهة جدا بالحركة الصوفية في الإسلام، وقوامها الرجوع إلى الحدس. ‘‘فالغنوصية من الكلمة اليونانية gnosis وتعني المعرفة الحدسية الباطنية أو العرفان بمصطلح التصوف الإسلامي، والعارفون هم الغنوصيون الذين يتواصلون من خلال بصيرتهم الداخلية بالحقيقة الكلية’’(فراس السواح: الوجه الآخر للمسيح،ص66)، وغير الغنوصيين يكتفون بالظاهر من التعاليم الدينية ولا ينفذون إلى باطنها.

أما في الإسلام فقد ظهرت الخلافات في عصر التأسيس بعد وفاة النبي مباشرة، (حروب الردة)، وكانت تلك الخلافات ذات حوافز وغايات سياسية، فحروب الردة كانت عبارة عن تمرد وعدم ولاء للدولة في عهد أبي بكر ، إذ لم يكن بعض المسلمين راضون على توليه الحكم ، وخلافته للنبي (ص)، والحروب كانت تتغطى بطقوس من طقوس الدين: أداء الزكاة، ولم تكن الزكاة إلا الوجه الآخر للولاء السياسي، فقد كانت حروب الردة عبارة عن إخضاع القبائل المتمرّدة عن الحكم بالقوة، وقد حدثت تجاوزات خطيرة وقد أشرنا إلى تجاوزات خالد بن الوليد.

والسبب في ذلك أن السياسة في الإسلام ظهرت مع مرحلة التأسيس، فقد شعر المسلمون منذ وفاة الرسول (ص) بضرورة التفكير فيمن يخلفه، وأسرع الأنصار قبل دفنه إلى عقد اجتماع في سقيفة بني ساعدة ليبتّوا في الأمر، وأدركهم عمر و أبوبكر وأبو عبيدة بن الجراح ، وبدأ الانقسام فالأنصار يرون أن الخليفة يجب أن يكون منهم ، والمهاجرون يرون الأمر في صفهم، كما ظهر اقتراح آخر يوفق بين الرأيين وهو تقاسم السلطة بين المهاجرين والأنصار فيكون من المهاجرين أمير ومن الأنصار أمير. لكن المهاجرين رفضوا الاقتراح وتمت البيعة لأبي بكر، ولم يكن علي بن أبي طالب حاضرا، فقد كان مشغولا بتجهيز جثمان الرسول (ص)، ولما بلغه أمر تولي أبي بكر الخلافة لم يرض عنها، وتكون رأي ثالث يرى أن أهل بيت النبوة هم أولى بالسلطة التي كانوا يصرّون على تسميتها الخلافة إشارة إلى خلافة رسول الله الذي كان يحوز السلطة الدينية والدنيوية..

ولم تمُت نظرية أولوية عليّ في الخلافة، فلما تولى عثمان تبرم علي وأنصاره، لا سيما أن عثمان ولى الأمويين الذي أثاروا العصبية القبيلة بعد أن قوض أركانها الرسول وواصل ذلك أبو بكر وعمر، فحرك ذلك ما كان كامنا من العداوة القديمة الجاهلية بين بني هاشم وبني أمية.

وكثرت الجمعيات السرية فبعضها يدعو إلى خلع عثمان ، ومنها ما كان يدعو إلى تولية عليّ مكانه، وفعلا فقد قتل عثمان، وولي علي ، لكن معاوية وطلحة والزبير خرجوا على عليّ، متهمينه بالضلوع في

قتل عثمان أو على الأقل القعود عن نصرته، كما وجدت طائفة أخرى اعتزلت النزاع منهم عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وحسان بن ثابت وأسامة بن زيد، وبدأ القتال ضد علي في موقعة الجمل وموقعة صفين، وأخيرا آل الأمر لمعاوية بعد خديعة رفع المصاحف المعروفة في التاريخ، وتأسست على هذه الاختلافات الفرق المعروفة سنة وشيعة ومعتزلة والمرجئة(ينظر: أحمد أمين، فجر الإسلام.ص254).

ثم أخذت هذه الفرق تتجه اتجاهات عقائدية تختلف أكثر فأكثر، واستولى بنو أمية على السلطة بالقوة والخديعة كما رأينا وسموا أنفسهم أهل السنة والجماعة وسموا ما عداهم فرق ضالة ومنحرفة، وبدأت المعارك السياسية تتخذ العنف وسيلتها الرئيسية والأمثلة كثيرة عن الاغتيالات السياسية ، فقد كان الاغتيال فيما بين الخلفاء وأفراد عائلة بني أمية الحاكمة أولا، اغتيل عمر بن عبد العزيز والوليد بن يزيد بن عبد الملك، ومروان بن الحكم، دون أن ننسى المعارضين مثل الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير و إبراهيم بن الأشتر ومصعب بن الزبير والنعمان بن بشير الأنصاري، وغيرهم كثير وارتكبت مجازر فظيعة في يوم الحرة قتل فيه جمع غفير من الصحابة على أيدي بني امية وذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن سبعمائة صحابي قتلوا في ذلك اليوم كلهم من المهاجرين و الأنصار(ابن كثير : البداية والنهاية ج11/ص623).

وانقسمت المذاهب العقائدية ، والويل لمن كانت السلطة خلاف رأيه فقد نكل المأمون ببعض فقهاء السنة في الفتنة المعروفة بفتنة خلق القرآن، ولا نريد أن نطيل الكلام في المعارك الدامية بين من يسمون أنفسهم السنة وبين الشيعة ولا سيما بعد سقوط الدولة العباسية في العراق ، فقد وصل التناحر إلى اشده حتى أصبح القتل على الهوية أو ما سمي بحرب الأبواب(ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم:ج15/ص125).

وبسبب هذه الفتن المظلمة، رأى أصحاب الرأي انها كلها من أجل الدنيا لا من أجل الدين، فتوجه كثير منهم إلى الزهد، فكان التناحر على الدنيا أحد اهم أسباب التوجه الذي سميناه الغنوصية عند حديثنا عن المسيحية. والزهد هو انصراف القلب والنفس عن طلب الدنيا والرغبة في متاعها وملذاتها إلى طلب الآخرة والجنة ، والرغبة في نعيمها وحصول السعادة الأبدية فيها لأن الآخرة أبقى من الدنيا ،وكذلك فإن متاع الدنيا منغص بالآفات والابتلاءات والأمراض، ثم يقطع العبد عنها كلها نزول الموت ومفارقة الدنيا ، اما الجنة فليس فيها شيء من تلك المنغصات والآفات ، بل وطهرها الله وسلمها من كل ذلك.

ويذكر أحمد أمين أسباب ميل الناس للزهد فيقول إن قوما يئسوا من الغنى وأن نفوسهم لا تطاوعهم للقرب من ذوي الجاه، أو حاولوا ففشلوا وقالوا إن لم تكن ما تريد فأرد ما يكون، ومنهم من عافت نفوسهم ما رأت من شهوات ...ومنهم من يئس من حب أو صدم في منصب أوجاه ، كذلك من زهد تدينا لما في الزهد من خفة المؤونة(أحمد أمين ضحى الإسلام. 133/1)، من اوائل الزهاد الحسن البصري وإبراهيم الحربي وأبو العتاهية وعبد الله بن المبارك وغيرهم.

وهكذا كان الزهد المبدأ الأول لبروز مذهب المتصوفة، فصاحب الموسوعة الصوفية يرى أن كلمة (تصوف) لم توضع أصلا للتصوف بالمعنى الذي نعرفه اليوم وإنما وضعت في المبدأ لتدل على نمط من العزوف عن الدنيا، إنها كانت علامة للزاهدين والمتنسكين فسمي بها هؤلاء الذين انصرفوا عن الدنيا (الحسيني معدى: موسوعة الصوفية :ص 23). لكن التصوف تطور وأصبح فكرا متماسكا قائما على مجموعة من الثنائيات الضدية :الظاهر والباطن، الشريعة والحقيقة، الكمون والتجلي، الحق والخلق، وتقوم الممارسة الروحانية على الحدس والعرفان وبعد أن يشرح فراس السواح مختلف المعتقدات الصوفية في مفهوم الألوهة،وأن كل الموجودات والظواهر الكونية إنما وجودها مستمد من الذات الإلهية، فالموجود الحقيقي ه و الله، وكل الموجودات تجليات للذات الإلهية،وكل المعبودات التي توجه إليها البشر لم تكن إلا تجليات لأسماء الله والتوجه إليها بالعبادة لم يكن إلا طريقا لمعرفة الذات الإلهية الحقة ، وكل عبادة تتوجه لغير الله مآلها إلى الله. يصل إلى أننا نعود في معتقدات الإنسان إلى نقطة البدء فالوثن الذي

يراه ابن عربي قائما بين الإنسان والذات الإلهية، ما هو إلا شارة القداسة التي أقامها إنسان العصر الحجري في محاريبه ورسمها على جدران كهوفه، وها نحن نقف بخشوع أمام رأس الثور وندلف إلى أعماق كهف لاسكو حيث الظلال تنعكس على مشهد البسيون وهو يتأهب للانطلاق، وما هذا إلا ذاك ،فكم ذهب الإنسان بعيدا ليعيد صياغة المعتقد نفسه ولكن بأشكال جديدة لقد قام برحلة عقلية طويلة لكنه لم يتحرك قيد أنملة من مكانه في رحلته النفسية (السواح: دين الإنسان: ص307).

والمشكلة المطروحة في هذا البحث عن مستقبل الأديان، إذا كانت الأديان قد أخذت مسارا واحدا أو على الأقل متشابها، من الحدس إلى العقل والدغمائية والإيديولوجية لتعود إلى الحياة الروحانية القائمة على الحدس مرة أخرى، فلماذا لم يصل الإنسان ، الذي أدرك هذه النتيجة منذ الغنوصية المسيحية والتصوف الإسلامي، إلى تحديد دور الدين و تعميم الدين في الجوانب الروحانية بعيدا عن الصراع العقائدي والإيديولوجي .

فهل نتوقع أن يلوذ الإنسان بهذا الخيار الحتمي بعد أن تكاد البشرية تفني نفسها بسبب الصراعات، والجواب لقد كانت الحروب في القديم محدودة التأثير إذ كان الإنسان يستعمل أسلحة تقليدية أو بدائية إن شئنا ، أما في العصر الحالي فقد تطور السلاح ليصبح قادرا على إفناء البشرية إفناء حقيقيا، لذلك فإن هذه الصراعات لن تكون في المعتقدات ،لأن الإنسان سوف يفكر ألف مرة قبل خوض الحرب الطاحنة، والراجح أن المعتقدات ستتراجع وتحل محلها الروحانيات التي توحد البشرية على دين واحد هو دين العصر الحجري القديم، الدين كما بدأ أول مرة دين المعرفة الحدسية الباطنية والتواصل مع تجليات القداسة من خلال البصيرة الداخلية ، وابتغاء الحقيقة الكلية ،أو التصوف بالمفهوم الإسلامي، أو الغنوصية بالمفهوم المسيحي.